

إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ (الضَّحِكُ) ٤٠

٤٠ قال الإمام ابن خزيمة: "باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل: بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه، لا ولا يشبهه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك؛ كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصدقون بذلك، بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا ما استأثر الله بعلمه" [كتاب ((التوحيد)) (٥٦٣/٢)]؛ ومعنى قوله: (بلا صفة تصف ضحكه) أي بلا تكييف لضحكه.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى رحمه الله: {باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك}: "اعلموا، وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل: أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء، ممن اتبع ولم يتبدع؛ ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به؛ أن الله عز وجل يضحك، كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته، ولا ينكر هذا إلا من لا يحمده حاله عند أهل الحق" ["الشرعية"؛ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)؛ ج ٢ ص ١٥١].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام لما قيل له: هذه الأحاديث التي تروى في: الرؤية، والكرسي، موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإن جهنم لتمتلئ... وأشبه هذه الأحاديث؟ قال رحمه الله: "هذه الأحاديث حق لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض" ["التمهيد" (١٤٩/٧-١٥٠)، و"الحجة في بيان المحجة" لقوام السنة (٢٩١/١، ٥٦٦/٢)، و"المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة" (٣١٥/١)، و"مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١٢١/٦)، و"شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" للغنيان (١٠٤/٢). وانظر: كلام البغوي في صفة (الأصابع)، وكلام ابن كثير في صفة (السمع)].

ضحك الله سبحانه وتعالى عز وجل لا يشبه ضحك أحد من خلقه، كما هو الأصل العام المقطوع به، المجمع عليه، في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإن ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل تثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون في جميع الصفات (أي: الإثبات) التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة

والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك ...": {}قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها]؛ في نسخة: (والحياة واليقظة)، بدون: (والحب والبغض)، وهذه أحسن.

أما قوله: [من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر مستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكفون علمه إلى الله تعالى، ويقولون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} {آل عمران: ٧}].

وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها، وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مخرج بالأسانيد الصحيحة في كتاب الانتصار، وشرطنا في أول هذا الكتاب الاختصار، والاقتصار على أدنى المقدار دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدنا الصحيحة عن نقلة الآثار، ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار]. يقول المؤلف رحمه الله: وكذلك معتقد أصحاب الحديث: أنهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت فيها الأخبار الصحاح يجرونها مجرى واحداً، ويثبتون جميع الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته، وينفون عنها التمثيل والتكييف، ويثبتون الصفات إثباتاً بلا تمثيل ولا تشبيه، وينفون عن الله ماثلة المخلوقين. وهم يثبتون الصفات، لا يعطلون كما تفعل المعطلة، ولا يمثلونها بصورة المخلوقين كما تفعل المشبهة.

قوله: (كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح) يعني: لا يشترط في ثبوت الصفة أن تأتي في القرآن وفي السنة، بل إذا أتت في القرآن أو في السنة وجب إثباتها. قوله: (من السمع والبصر) قال تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] هذا فيه إثبات صفة السمع والبصر.

قوله: (والعين) صفة العين ثابتة في حديث الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن ربكم ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)، استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله، وأن لله تعالى عينين سليميتين بخلاف الدجال؛ فإن له عيناً واحدة، والعين الأخرى طافية كأنها عنبة طافية.

قوله: (والوجه) وكذلك إثبات الوجه قال تعالى: {وَيَبْنِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]، والعلم: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ١٣٤].

قوله: (والقوة) قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨].

قوله: (والقدرة) قال الله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٢٠].

قوله: (والعزة) قال الله تعالى: {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠]، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} [المنافقون: ٨].

قوله: (والعظمة) لحديث: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي).

قوله: (والإرادة) قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] والإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية ترادف المحبة.

قوله: (والمشيئة) قال الله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان: ٣٠].

قوله: (والقول) قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ١١٠].

قوله: (والكلام): {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤].

قوله: (والرضا): {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩].

قوله: (والسخط): {سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٨٠].

قوله في نسخة أخرى: (والحياة واليقظة)، الحياة نعم ثابتة، قال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] أما اليقظة فهذا يحتاج إلى دليل.

قوله: (والحب) قال تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤].

قوله: (والبغض): (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، ويحبه جبريل وتحبه الملائكة، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً نادى جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض).

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر: ١٠] والمقت أشد البغض.

إذاً: الحياة ثابتة، أما اليقظة فيحتاج إلى دليل إثبات أنها من صفات الله، ولا أعلم دليلاً في الكتاب أو السنة فيه إثبات صفة اليقظة لله، إنما الحب والبغض والحياة.

قوله: (والفرح) الفرح صفة ثابتة لله: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يفقد راحلته في فلاة عليها طعامه ومتاعه)، إلى آخر الحديث.

قوله: (والضحك): (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)، قوله: (وغيرها).

أي أنّ أهل السنة والجماعة والسلف وأهل الحديث يشبّهون الصفات التي وردت في القرآن العزيز أو في

السنة المطهرة، ومثل هذه الصفات بالسمع والبصر والعينين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشية والقول والكلام والرضا والسخط والحياة والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها. قوله: (من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين) يعني: لا يقولون: إنّ سمع الخالق مثل سمع المخلوق، بل الله تعالى له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا يماثل أحداً من خلقه. قوله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا إضافة عليه).

يعني: يقفون عند النصوص من غير زيادة على قول الله وقول الرسول، ولا يضيفون إليها شيئاً، بل يقولون كما قالوا: أثبت الله لنفسه السمع نثبت السمع، أثبت الله لنفسه البصر نثبت البصر، وهكذا من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.

قوله: (ولا تكييف له)، لا يقولون: إن كيفية سمع الله كذا، إن بصره كيفيته كذا، لا يكيف ولا يشبه بصفات المخلوقين.

قوله: (ولا تحريف) لا يحرفون الصفات ويقولون: معنى اليد النعمة أو القدرة، فهذا تحريف وتبديل وتغيير، وهم لا يحرفون الألفاظ ولا المعاني.

الجهمية حرفت وقالوا: معنى ((استوى)) استولى، ولهذا يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فإن اليهود قال الله لهم: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً} [البقرة: ٥٨] يعني: حط عنا يا الله ذنوبنا واغفرها لنا، وهم حرفوا وقالوا: حنطة، حرفوا في اللفظ والمعنى، وأمرهم الله أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أذبارهم. والجهمية غيروا (استوى) وقالوا: استولى، ولهذا يقول العلماء: لام الجهمية مثل نون اليهود، لام الجهمية استولى زادوها في النص، ونون اليهود زادوها في النص.

أما أهل السنة والجماعة فلا يحرفون ولا يغيرون ولا يبدلون كما تفعل الجهمية وكما يفعل اليهود؛ ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير).

فهم لا يقولون: كيفية الصفة على كذا وكذا، ولا يقولون: تشبه صفة المخلوقين، ولا يحرفون اللفظ، ولا يحرفون المعنى، ولا يبدلون ولا يغيرون.

قوله: ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه في تأويل المنكر).

فأهل السنة لا يزيلون لفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتؤوله عليه بتأويل منكر، مثل تأويل الجهمية في (استوى) باستولى، هذا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب بتأويل منكر.

قوله: ويجرونه على الظاهر ويكلمون علمه إلى الله، ويقرون بأنه تأويل لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين

ما الذي يُضحكُ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يضحك متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة كثيرة من السنة الصحيحة تدل على بعض المواطن التي يضحكُ الله عز وجل فيها **[وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في الدنيا أو في موطن؛ فلا حسابَ عليه ء، {الله تعالى يضحك إلى العبد (يضحك للعبد) وليس على العبد (ليس عليه)؛ معاذ الله}]**؛ ومن ذلك:

في العلم أنهم يقولون في قوله عز وجل: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] فالراسخون في العلم يؤمنون بالنصوص ولا يمثلون ولا يكتفون ولا يشبهون، يقولون: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] آمنا بالمتشابه وبالحكم، ويعملون بالحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ولا يحرفون. قوله: (وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة) يعني: الآيات والنصوص التي فيها إثبات الصفات سواء من الكتاب ومن السنة كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، لكن أنا أعطيك قاعدة هي: يجب على كل مسلم أن يثبت النصوص التي وردت في الكتاب وفي السنة إثباتاً بغير تكييف ولا تمثيل، لكن تنزيه الله عن مشابهة المخلوق من غير تعطيل للصفات، ولا تمثيلها بصفات المخلوقين كما يفعل المشركون، ولا تعطل بأن تنفي الصفات كما نفعتها المعطلة.

فكل نص في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة جاء بإثبات صفة من صفات الله، أو اسم من أسماء الله، أو فعل من الأفعال أثبتته لله، واجتنب أمرين باطلين: الباطل الأول: التمثيل بصفات المخلوقين، والباطل الثاني: تعطيل الصفة. إذاً: من مثل فقد شابه.}؛ [شرح "عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام المحدث المفسر شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني"؛ عبد العزيز الراجحي؛ ص ٦: إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف].

٤١ عن نعيم بن همار الغطفاني: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الشهداء أفضل قال: "الذين إن يُلقوا في الصفِّ لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون في الغُرفِ العُلا من الجنة، ويضحكُ إليهم ربُّهم، وإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حسابَ عليه" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الترغيب ١٣٧١]، وفي رواية: "أفضلُ الشهداء الذين يُقاتلون في الصفِّ الأول فلا يلفتون وجوههم حتى

١. **المَوْطِنُ الْأَوَّلُ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ":** فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهِدُ"^٢، وفي رواية: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهِدُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهِدُ"^٣، وفي رواية: "يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يُقْتُلُ هَذَا فَيَلْجُ الْجَنَّةَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهِدُ"^٤؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، جَزِيلُ الْعَطَاءِ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَهُمَا بَلَغَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَكَثُرَتْ خَطَايَاهُ، ثُمَّ تَابَ وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَبْلَهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الْمَثُوبَةُ، وفي هذا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ، ضِحْكًا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى [وَلَا يُشْبِهُهُ ضِحْكُ الْمَخْلُوقِينَ]، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ أَوْ تَعْطِيلٍ أَوْ تَشْبِيهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا فِي الْجَنَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاتِلَ كَانَ كَافِرًا وَقَدْ قَتَلَ مُؤْمِنًا، فَمَاتَ الْمُؤْمِنُ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ؛ كَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الشُّهَدَاءَ، ثُمَّ أَسْلَمَ الْقَاتِلُ، وَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ الْآخَرُ، فَاسْتَشْهِدَ؛ فَإِنَّ

يُقْتَلُوا، أَوْلَئِكَ يَتَبَطَّوْنَ فِي الْغَرْفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، فَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الجامع ١١٠٧].

٤٢ أخرجه البخاري (٢٨٢٦).

٤٣ أخرجه مسلم (١٨٩٠ - ١٢٨).

٤٤ أخرجه مسلم (١٨٩٠ - ١٢٩).

اللَّهُ يُلْحِقُهُ بِصَاحِبِهِ الَّذِي قَتَلَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهَذَا الْفِعْلُ كَانَ سَبَبًا لِضَحِكِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمَا فِي الْآخِرَةِ، وَكَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفَضَّلَهُ مُتَنَوِّعٌ مِنْ وُجُوهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى. ٢. **المَوْطِنُ الثَّانِي: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِي جَاهَدَ وَصَبَرَ عِنْدَ انْكَشَافِ الْجِيْشِ؛ {الرَّجُلُ يِقَاتُلُ خَلْفَ الْكُتَيْبَةِ} ٤٥".**

٣. **المَوْطِنُ الثَّالِثُ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِي تَرَكَ شَهْوَةَ النِّسَاءِ وَالرَّاحَةَ، وَقَامَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ؛ [الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ {يَصِلِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ}]:** {قيام الليل من الأفعال التي يضحك منها الربُّ عَزَّ وَجَلَّ وهذه فضيلة عظيمة لمن يقوم من الليل}، مع استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند قيام الليل، ولذلك بَوَّبَ ابن القيم رحمه الله في كتابه "جلاء الأفهام" (ص/٥٦٣) على ذلك بقوله: "الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: إذا قام الرجل من نوم الليل"، [وفي هذا بيانٌ لفضيلة قيام العبد بالليل مخلصاً لا يراه أحد، يركع ويسجد لله عز وجل، لا يبتغي إلا مرضاة الله، فذلك من أفضل الأعمال].

٤. **المَوْطِنُ الرَّابِعُ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ لِمَسَافِرٍ قَامَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ سَحَرًا وَقَدْ هَجَعَ أَصْحَابُهُ؛ [الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ {يَصِلِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ}]:** {قيام الليل من الأفعال التي يضحك منها الربُّ عَزَّ وَجَلَّ وهذه فضيلة عظيمة لمن يقوم من الليل} ٤٦.

٤٥ فَإِنْ قُتِلَ اسْتُشْهِدَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ وَيَكْفِيَهُ وَيَبْقَى، فَذَاكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ، [وفي هذا بيانٌ لفضيلة الجهاد في سبيل الله؛ فهو من أفضل الأعمال].

٤٦ مع استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند قيام الليل، ولذلك بَوَّبَ ابن القيم رحمه الله في كتابه "جلاء الأفهام" (ص/٥٦٣) على ذلك بقوله: "الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: إذا قام الرجل من نوم الليل؛ وفي هذا بيانٌ لفضيلة قيام العبد بالليل مخلصاً لا يراه أحد، يركع ويسجد لله عز وجل، لا يبتغي إلا مرضاة الله، فذلك من أفضل الأعمال.

٥. الْمُوطِنُ الْخَامِسُ: "يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ وَجَلُّ لُصْفِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ {فِي الصَّلَاةِ}."

٦. الْمُوطِنُ السَّادِسُ: "يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ وَجَلُّ لُصْفِهِ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ {فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ}" [وفي هذا بيانٌ لفضيلة الجهاد في سبيل الله؛ فهو من أفضل الأعمال]؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَيُضْحِكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِتْنَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ وَيَكْفِيَهُ، فيقول: {انظروا إلى عبيدي هذا كيف صَبَرَ لي بِنَفْسِهِ}، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفَرَّاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فيقوم من اللَّيْلِ، فيقول: {يَذُرُّ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شَاءَ رَقَدْتُ}، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهَرُوا، ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَاءٍ وَسَرَاءٍ" ^{٤٧}، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ لَيُضْحِكُ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فَرَّاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدَثَارِهِ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فيقولُ اللَّهُ عِزُّ وَجَلُّ لَمَلَأَتْكِه: مَا حَمَلَ عبيدي هذا على ما صَنَعَ؟ فيقولون: رَبَّنَا! رَجَاءٌ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةٌ مِمَّا عِنْدَكَ. فيقول: فَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُهُ مَا رَجَا، وَأَمْنْتُهُ مِمَّا يَخَافُ"، وذكر بَقِيَّتَهُ ^{٤٨}، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ لَيُضْحِكُ إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: رَجُلٍ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَحْسَنَ الطُّهُورَ وَصَلَّى، وَرَجُلٍ نَامَ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَرَجُلٍ أَحْسَبَهُ كَانَ فِي كَتِيبَةٍ فَأَنْهَزَمَتْ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ لَذَهَبَ" ^{٤٩}، وفي رواية: "إِنَّ اللَّهَ لَيُضْحِكُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ، وَالرَّجُلِ يَصِلِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَالرَّجُلُ يِقَاتِلُ خَلْفَ

٤٧ حَسَنَةُ الشَّيْخِ الْأَبَانِيِّ: "صحيح الترغيب والترهيب" ٦٢٩؛ أخرجه الطبراني كما في "الترغيب والترهيب" للمندري (٢٤٥/١)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٨٣).

٤٨ صحيح لغيره: أخرجه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب الرقم: ٦٣٠.

٤٩ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند: الرقم: ٢٨٥/١٨؛ أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وأحمد (١١٧٦١) بنحوه، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) للهيتمي (٢٥٩/٢) واللفظ له.

الكتيبة" ٥٠، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ" ٥١، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، رَجُلٌ لَقِيَ الْعَدُوَّ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ أَمْثَلِ خَيْلِ أَصْحَابِهِ فَانْهَزَمُوا، وَثَبَّتْ، فَإِنْ قُتِلَ اسْتُشْهِدَ، وَإِنْ بَقِيَ فِذَاكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَمَجَّدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرْآنَ، فِذَاكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي قَائِمًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ غَيْرِي" ٥٢.

٥٠ حديث ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٥٦، وضعيف ابن ماجه ٣٥ [باختلاف يسير].
٥١ اسناده ضعيف: أخرجه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند الرقم: ١١٧٦١؛ أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وأحمد (١١٧٦١) واللفظ له، وضعفه الشيخ الألباني بلفظ: "ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ بِاللَّيْلِ يَصْلِي، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا فِي الصَّلَاةِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ" في [السلسلة الضعيفة الرقم: ٣٤٥٣؛ أخرجه أحمد (١١٧٧٨)، وأبو يعلى (١٠٠٤) باختلاف يسير، والبغوي في ((شرح السنة)) (٩٢٩) واللفظ له]، وفي [تخريج مشكاة المصابيح: ١١٨٥].

٥٢ روي هذا الحديث مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وموقوفاً من كلام الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ رواه عبد الرزاق في "المصنف" ١٨٥/١١، ومن طريقه كل من الطبراني في "المعجم الكبير" ١٥٩/٩، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ٢٠٥/٤، ورواه النسائي في "السنن الكبرى" ٢١٧/٦، وفي "عمل اليوم والليلة" ص ٤٩٦؛ جميعهم من طريق أبي إسحاق [وهو السبيعي عمرو بن عبد الله] عن أبي عبيدة [وهو ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]، عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ وهذا إسناد رواه ثقات، غير أن تابعي الحديث: أبا عبيدة، لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما قرره غير واحد من أهل العلم، فالإسناد منقطع [جامع التحصيل ٢٠٤، تحفة التحصيل ١٦٥، تهذيب الكمال ٦١/١٤]، غير أن أبا عبيدة توبع على رواية ذلك عن أبيه؛ تابعه مرة الهمداني عن ابن مسعود، مرفوعاً، بلفظ: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ تَارَ عَنْ وَطْأَيْهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيْثُ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، تَارَ مِنْ فَرَاشِهِ وَوِطْأَيْهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيْثُ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أَهْرَبَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي،

٧. الْمُوطِنُ السَّابِعُ: "يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَوْ كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ": فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي، فَقَالَ: هَيَّيْ طَعَامَكَ، وَأَصْبِجِي سِرَاجَكَ، وَنَوِّمِي صَبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَمَيَّاتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوِّمَتْ صَبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أُمَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجَبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا"، فَأَثَرَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

وَشَقَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أَهْرِيقَ دَمُهُ" [رواه الإمام أحمد في "المسند" (٦٢/٧) وغيره]، لكن رجح الإمام الدارقطني رحمه الله أن هذا الحديث موقوف من كلام ابن مسعود، وليس مرفوعاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال رحمه الله: "يرويه عطاء بن السائب عن مرة، واختلف عنه: فرفعه حماد بن سامة، عن عطاء بن السائب، ووقفه خالد بن عبد الله، عن عطاء.... والصحيح هو الموقوف" ["العلل" (٢٦٧/٥)]، {وينظر: [مسند الإمام أحمد (٦٢/٧) ط الرسالة، تعليق المحققين]، و[جلاء الأفهام، لابن القيم، ط الشيخ مشهور سلمان (٥٦٣) تعليق المحقق]، ولذلك قال السخاوي رحمه الله عن هذا الأثر: "إسناده صحيح؛ القول البديع؛ ص/٢٦٤"، وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قريب المعنى من هذا الحديث: {قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَيُضْحِكُ إِلَيْهِمْ، وَيُسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِتْنَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَنْ يَقْتُلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ وَيَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: {انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ}، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفَرَّاشٌ لَتَيْنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: {يَذُرْ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرْنِي، وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ}، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهَرُوا، ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَاءٍ وَسَرَاءٍ" [حسنه الشيخ الألباني؛ "صحيح الترغيب والترهيب" ٦٢٩؛ أخرجه الطبراني كما في "الترغيب والترهيب" للمنذري (٢٤٥/١)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٨٣)]}.

الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩] "٥٣؛ فَإِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَعَانِي النَّبِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ الْأَصِيلَةِ، الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَسَطَّرَهَا الصَّحَابَةُ الْكَرَامُ: خُلِقَ الْإِثَارُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ ضَيْفًا عَلَيْهِ يَشْكُو حَالَهُ وَحَاجَتَهُ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نِسَائِهِ وَاحِدَةً تَلَوُ الْأُخْرَى هَلْ عِنْدَهَا شَيْءٌ، فَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَقُولُ: "مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ"، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: "مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضَيِّفُ هَذَا؟"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: "مَا عِنْدَنَا إِلَّا قَوْتُ صِيبَانِي"، أَي: مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا عَشَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَقَالَ لَهَا: "أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَيِّئِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ"، أَي: أَوْقِدِيهِ أَوْ نَوِّرِيهِ، وَنَوِّمِي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. "فَهَيَّأتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَنَوِّمْتُ صِيبَانَهَا"، بِغَيْرِ عَشَاءٍ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّمَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ "جَائِعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَشَاءٍ، "فَلَمَّا أَصْبَحَ" الْأَنْصَارِيُّ "غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَحِّحَكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجَبٌ، مِنْ فِعَالِكَا". فَانْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الصَّحْحِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِثْبَاتًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَوَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

٨. الْمُوَطَّنُ الثَّامِنُ: "يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ لِأَفْضَلِ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَلَا يَلْفِتُونَ وَجُوهَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا": فَعَنَ نَعِيمُ بْنُ هَمَارٍ الْغُطْفَانِي: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الشَّهَدَاءِ أَفْضَلُ قَالَ: "الَّذِينَ إِنْ يُلْقُوا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وَجُوهَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا، أُولَئِكَ يَنْطَلِقُونَ فِي الْغُرَفِ

العُلا من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه" ^{٥٤}، وفي رواية: "أفضل الشهداء الذين يُقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه" ^{٥٥}؛ فأسمى مقامات الشهادة هي الموت في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، خاصة الذي يُقاتل في الصف الأول من هؤلاء، فإن رتبته عند الله عظيمة؛ وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الشهداء الذين يُقاتلون في الصف الأول؛ وذلك أن القتل في سبيل الله أفضل أنواع الشهادات، ويأتي من يقتل في الصف الأول أفضلهم على الإطلاق، لما لهم من فضل السبق إلى القتال "فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا" بمعنى أنهم لا يحولونها عن مقصدهم، وهذا كناية عن صدق نيّتهم، "أولئك يتلبطون" يتنعمون، "في الغرف العلى من الجنة"، وهذا دليل على علو المنزلة والأجر، "يضحك إليهم ربك" إشارة إلى رضاه عز وجل، وهو ضحك يليق بذاته وجلاله دون تكليف أو تشبيه، "فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه" تأكيد على أنه ليس عليهم حساب في الآخرة، وفيه ترغيب في جهاد أهل الطغيان والكفر بحدد السيف.

٩. **الموطن التاسع: "ضحك الله سبحانه وتعالى عز وجل للصحابيين (سعد بن معاذ) و(طلحة بن البراء) رضي الله عنهما بعد وفاتهما"**؛ فلما أخرج سعد بن معاذ، صاحت أمه، فقال رسول الله: "يا أم سعد ألا يرقأ دمعك، ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له، واهتزّ العرش" ^{٥٦}، و"أن رسول الله أتى قبر طلحة بن

٥٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الترغيب ١٣٧١.

٥٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الجامع ١١٠٧.

٥٦ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة الرقم: ٥٥٩؛ أخرجه أحمد (٢٧٥٨١)، وابن أبي

عاصم في ((السنة)) (٥٥٩) واللفظ له، والطبراني (١٨٥/٢٤) (٤٦٧).

البراء في قطارٍ بالغصبة، فصَفَّ وصَفَفنا خلفه وقال: اللَّهُمَّ الْقَى طَلْحَةَ تَضَحْكُ إِلَيْهِ، وَيُضْحِكُ إِلَيْكَ" ٥٧.

١٠. الْمُؤْطِنُ الْعَاشِرُ: **"يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّ وَجَلُّ لِمَنْ يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا"**؛ فَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: "غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا"، فَزَرَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ٥٨؛ {الحديث الوارد في هذا الْمُؤْطِنِ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ؛ وَلَعَلَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الْمُؤْطِنِ الثَّانِي، وَالْمُؤْطِنِ السَّادِسِ، وَالْمُؤْطِنِ الثَّامِنِ، وَاسْتِدْلالاتها {دون أن يكون فيها نكارة ما}؛ تُغْنِي عَنْ هَذَا الْمُؤْطِنِ، وَتَسُدُّ مَحَلَّهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ}.

١١. الْمُؤْطِنُ الْحَادِي عَشَرَ: **"يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّ وَجَلُّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ"**؛ فَعَنْ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَحَّحَكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يُضْحِكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يُضْحِكُ خَيْرًا ٥٩، وَفِي رِوَايَةٍ: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ قِطَيْنِ، فَيَظْلُ يُضْحِكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرْجَكُمْ قَرِيبٌ" ٦٠؛ (حديث حسن: من حديث أبي رزين عند ابن

٥٧ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة الرقم: ٥٥٨.

٥٨ حديث مُنْكَرٌ: أخرجه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٦٦٤٣؛ وقال عنه: مُنْكَرٌ.

٥٩ حديث حسن؛ أخرجه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه الرقم: ٧٨/١، وأخرجه في السلسلة الصحيحة الرقم: ٢٨١٠؛ وقال عنه: حسن بمجموع الطرق.

٦٠ حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى الرقم: ١٣٩/٣؛ شيخ الإسلام تارة يستعمل الحسن بمعنى حسن المعنى وتارة يستخدم الحسن ويريد به الحسن الاصطلاحي ولكن أكثر ما يستعمله بمعنى الحسن الاصطلاحي وأما الحسن من جهة المعنى فإنه استعمله عدة مرات في أحاديث وحملت على أن المعنى حسن وليس حسنا على طريقة أهل الحديث. [شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ؛ ص (٤١٧-٤٢٠)].

كثير في تفسيره، لقوله تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة} [البقرة: ٢١٤]، ولفظه: "عجب ربك" الحديث، وبدل "غيره": "غيثه". والعجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين: {السبب الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء}، {والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعمّا ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله، وهذا ثابت لله تعالى؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه}. وقوله: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَنُوطِ عِبَادِهِ": القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عز وجل من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد. "وَقُرْبِ غَيْرِهِ": الواو بمعنى مع، يعني: مع قرب غيره. و(الغَيْر): اسم جمع غَيْرَةٍ، كَطَيْرٍ: اسم جمع طَيْرَةٍ، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره. **{فيعجب الرب عز وجل، كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ؛ فيكون}**. وقوله: "ينظر إليكم أزلين"؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه. "أَزْلِينَ قَنُطِينَ": الأزل: الواقع في الشدة. و"قَنُطِينَ": جمع قانط، والقانط: اليأس من الفرج وزوال الشدة. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الإنسان وحال قلبه، حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يأس مستبعد للفرج. "فيظل يضحك": يظل يضحك من هذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كُنْ؛ فيكون؟. "يعلم أن فرجكم قريب"، أي: زوال شدتكم قريب^{٦١}، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ

٦١ "شرح الواسطية"؛ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (26-30/2)، و"شرح العقيدة الواسطية"؛ للشيخ صالح

آل الشيخ؛ ص (٤١٧-٤٢٠). [بتصرف].

اللَّهُ لَيَضْحَكُ مِنْ إِيَّاسِ الْعِبَادِ وَقَنُوطِهِمْ وَقَرَبِ الرَّحْمَةِ مِنْهُمْ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِّي أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا تَعَالَى؟، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيَضْحَكُ"، قُلْتُ لَنْ يَعدِمَنَا خَيْرًا إِنْ ضَحِكَ^{٦٢}، وَفِي رَوَايَةٍ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَضْحَكُ مِنْ إِيَّاسَةِ الْعِبَادِ وَقَنُوطِهِمْ، وَقَرَبِهِ مِنْهُمْ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِّي، أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟، قَالَ: "إِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيَضْحَكُ"، فَقُلْتُ: إِذَا لَا يَعدِمُنَا مِنْهُ خَيْرًا إِذَا ضَحِكَ^{٦٣}، وَعَنْ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ مِنْ شَفَقَتِكُمْ وَأَزْلِكُمْ وَقَرَبَ غِيَاثِكُمْ"، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَيَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَنْ نَعدِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ^{٦٤}، وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ مُشْفِقَيْنِ فَيَظْلُ يَضْحَكُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ غَيْرَكُمْ إِلَيَّ قَرِيبٌ"، قَالَ لَقِيطٌ: لَنْ نَعدِمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا^{٦٥}، وَفِي رَوَايَةٍ: "يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ مُشْفِقَيْنِ فَيَظْلُ يَضْحَكُ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ غَوَاثَكُمْ إِلَيَّ قَرِيبٌ"، قَالَ لَقِيطٌ: لَنْ نَعدِمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا^{٦٦}.

٦٢ إسناده واه: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٣٦/٦.

٦٣ أخرجه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" ٥٧٤/٢؛ [أشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح].

٦٤ أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٩٤/٦، ولبعضه شواهد.

٦٥ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤١/١٠؛ [روي من طريقين الأولى] إسناده متصل ورجاله ثقات والإسناد الآخر مرسل.

٦٦ أخرجه ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ٤٥٩؛ وقال عنه: "مشهور"، وأخرجه في زاد المعاد ٥٨٨/٣؛ بلفظ: "[يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ مُشْفِقَيْنِ، فَيَظْلُ يَضْحَكُ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ غَوَاثَكُمْ إِلَيَّ قَرِيبٌ]". قَالَ لَقِيطٌ: فَقُلْتُ: لَنْ نَعدِمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ.؛ وقال عنه: "هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة".

١٢. الْمُوطْنُ الثَّانِي عَشَرَ: **"يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ وَجَلَّ لِمَنْ يَقُولُ وَيَفْعَلُ**

أَذْكَارِ الرُّكُوبِ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ"؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدَفَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا، وَحَمِدَ اللَّهُ ثَلَاثًا، وَسَبَّحَ اللَّهُ ثَلَاثًا، وَهَلَّلَ اللَّهُ وَاحِدَةً، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: "مَا مِنْ أَمْرٍ يَرْكَبُ دَابَّتَهُ، فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَحِكَ إِلَيْهِ، كَمَا ضَحِكْتُ إِلَيْكَ" ^{٦٧}، {قوله: "واحدة"، أي: مرة واحدة. "ثم استلقى عليه"، أي: مال بظهره إليه.}.

١٣. الْمُوطْنُ الثَّلَاثُ عَشَرَ: **"يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ وَجَلَّ لِلشُّهَدَاءِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ**

كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "هَمُّ الشُّهَدَاءِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مُتَقَلِّدِينَ أَسْيَافَهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، فَأَتَاهُمْ مَلَائِكَتُهُ مِنَ الْمَحْشَرِ بِنَجَائِبٍ مِنْ يَاقُوتٍ، أَرَمَّتْهَا الدُّرُّ الْأَبْيَضُ، بِرَحَالِ الذَّهَبِ، أَعْنَتْهَا السُّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ، وَنَمَارِقُهَا أَلْيُنُ مِنَ الْحَرِيرِ، مَدُّ خُطَاهَا مَدُّ أَبْصَارِ الرِّجَالِ، يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى خَيُْولٍ، يَقُولُونَ عِنْدَ طُولِ الثَّرْهَةِ: انْطَلِقُوا بَنَا (إِلَى رَبِّنَا) نَنْظُرُ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ، يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ" ^{٦٨}.

١٤. الْمُوطْنُ الرَّابِعُ عَشَرَ: **"يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

عِنْدَمَا يَتَجَلَّى لَهُمْ"؛ فَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا، وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ - قَالَ - فَتَدْعِي

٦٧ إسناده ضعيف: رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٠٥٧) (٣٣٠/١)، وَفِيهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْغَسَّانِي الشَّامِي، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَعَلِي بْنُ أَبِي طَلْحَةَ لَمْ يَدْرِكْ ابْنَ عَبَّاسٍ؛ "مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ"؛ {أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيُّ}؛ تَحْقِيقُ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوط - عَادِلٌ مُرْشِدٌ، وَآخَرُونَ. {قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (١٣١/١٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ وَهُوَ ضَعِيفٌ}

٦٨ حديث ضعيف: ضَعَّفَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ التَّرْغِيبِ ٨٥٤.

الْأُمُّ بِأَوْتَانِيهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَلَاوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ
فَيَقُولُونَ نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ
-قَالَ- فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ -مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ- نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ
وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو
الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ
مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ
الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرْشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ
وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يُسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا. ^{٦٩} ، ففي هذا
الحديث؛ سُئِلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْوُرُودِ، أَي: دَخُولِ النَّارِ،
فَأَجَابَ: نَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَدْعَى الْأُمُّ بِأَوْتَانِيهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، أَي: يُنَادِي عَلَى كُلِّ
أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِمَا كَانَتْ تَعْبُدُهُ مِنَ الْأَوْتَانِ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟
أَي: مَنْ تَنْتَظِرُونَ؟ فَيَجِيبُونَ: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ رَبُّهُمْ، فَيَطْلُبُونَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ
الْكَرِيمِ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، أَي: يُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ،
وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ، نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ
كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ: مِثْلُ الْخَطَاطِيفِ وَالْأَشْوَاكِ، "وَالْحَسَكُ" نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرَةٌ خَشْنَةٌ تَتَعَلَّقُ
بِأَصْوَابِ الْغَنَمِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ، وَرَقُّهُ كَوَرَقِ الرَّجُلَةِ أَوْ أَدَقٍّ، وَعِنْدَ وَرَقِهِ شَوْكٌ. ثُمَّ يَطْفَأُ
نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُنَافِقُونَ الْعُبُورَ عَلَى الصِّرَاطِ،
وَالنَّجَاةُ مِنَ الْخَطَاطِيفِ الَّتِي تُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ. فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ. ثُمَّ
تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ: فَيَمْنُ دَخَلَ النَّارَ؛ لِيَخْرُجُوا مِنْهَا، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ

قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حرقه؛ أي: إن أهل الجنة يرشون ماءً على من خرج من النار بالشفاعة ودخل الجنة، فتنبت أجسادهم المحترقة كما تنبت البذرة في الأرض عندما يمر عليها الماء. ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها، ثم يسأل أحد الذين دخلوا أو آخر من يدخل الجنة الله من فضله، فيجعل له الله سبحانه وتعالى مثل الدنيا بأسرها وعشرة أضعافها ملكاً له في الجنة. وفي الحديث: اتباع كل أمة الإله الذي كانت تعبده. وفيه: ثبوت صفة الضحك وصفة الإتيان وصفة التجلي لله عز وجل. وفيه: ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة. وفيه: ثبوت الشفاعة، وأن الجنة مخلوقة. وفيه: خلاص المؤمنين من المنافقين. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً"^{٧٠}، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فيجيء الله تبارك وتعالى والمؤمنون على قوم فيقف عليهم فيقول هل تعرفون ربكم فيقولون إن عرفنا نفسه عرفناه ويرد عليهم ثلاثاً ويردون عليه ثلاثاً إن عرفنا نفسه عرفناه فيتجلى لهم يضحك"^{٧١}، فأعظم نعيم للمؤمنين في الآخرة هو رؤية رب العالمين، وفي هذا الحديث يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أحوال المؤمنين يوم القيامة وتجلي الله عز وجل لهم، فيقول: «إذا كان يوم القيامة»، أي: إذا وقع يوم القيامة وجاء «جمع الله الأولين والآخرين»، أي: يجمع الله الخلائق كلها، أولهم وآخرهم، «فيجيء الله تبارك وتعالى» وهو مجيء حقيقي

٧٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة؛ الرقم: ٧٥٥؛ أخرجه أحمد (١٩٦٥٤)، والدارمي في ((الرد على الجهمية)) (١٨٠) مطولاً، وابن خزيمة في ((التوحيد)) (٥٧٦/٢) واللفظ له.

٧١ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة؛ الرقم: ٦٣١؛ أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٦٣١) واللفظ له، وابن خزيمة في "التوحيد" (٥٧٥/٢)، والدارقطني في "رؤية الله" (٢٢).

يليقُ بالله تعالى وكأله؛ نُؤْمِنُ به ولا نَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهُ ولا نُثْنِلهُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ، «والمؤمنون على قومٍ» وفي رواية ابن خزيمة في التوحيد: «على قومٍ»، أي: على مكانٍ مرتفعٍ، «فيَقِفُ عليهم»، أي: على المؤمنين، وذلك بعد أن ذهب كلُّ قومٍ خلف ما يعبدون، وتساقطوا في النار، كما جاء في الصَّحِيحَيْنِ: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، فيقول الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين: «هل تعرفون ربَّكم؟»، أي: لماذا لا تتبعون الناس؟ هل تنتظرون ربَّكم؟ وهل تعرفونه؟، «فيقولون: إِنَّ عَرَفْنَا نَفْسَهُ عَرَفْنَاهُ»، أي: إذا جاءنا بصُورته التي نَعْرِفُها من صفات الكمال والجلال التي وصفها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عَرَفْنَاهُ. وقد جاء في الروايات الأخرى أَنَّ رُؤْيَا المؤمنين لله عزَّ وجلَّ في الآخرة ستقعُّ مُتَكَرِّرَةً أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَإِنَّمَا مَجِبَ عَنْهُمْ تَحَقُّقُ رُؤْيِيهِ أَوَّلًا بِسَبَبٍ مَنْ كَانَ مَعَهُم مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَحَقُّونَ رُؤْيِيَهُ؛ فَلَمَّا تَمَيَّزُوا رُفِعَ الْحِجَابُ، وَلَا إِشْكَالَ فِي حُصُولِ الْامْتِحَانِ فِي الْمَوْقِفِ؛ لِأَنَّ آثَارَ التَّكْلِيفِ لَا تَنْقَطِعُ إِلَّا بَعْدَ الْاسْتِقْرَارِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ. «وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا»، أي: يكرَّر عليهم السؤال ثلاث مراتٍ، «وَيُرَدُّونَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا إِنَّ عَرَفْنَا نَفْسَهُ عَرَفْنَاهُ»، أي: يردُّون بنفسِ الإجابة «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ»، والمعنى: يُعَرِّفُهُمْ رَبُّنَا نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ، بِصِفَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا، وَيَضْحَكُ لَهُمْ ضَحْكًا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِثَبَاتِهِمْ، وَعَدَمِ تَرَدُّدِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ خَالِقِهِمْ. وفي الحديث: إثباتُ صفات الكلام، والضَّحِكُ لله عزَّ وجلَّ. وفيه: الحثُّ على الإيمان والثبات عليه، وتبشيرُ المؤمنين بِحُظْوَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، كما فيه إنذارٌ للعاصين. وفيه: ثبوتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ فِي الْآخِرَةِ.

١٥. الْمُوطِنُ الْخَامِسَ عَشَرَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عزَّ وجلَّ لِأَخْرِ أَهْلِ النَّارِ

خُرُوجًا مِنْهَا، وَأَخْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا": فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذِكْرِ آخِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "... فَيَقُولُ: يَا رَبِّ

أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأُمَانِيُّ، ... "٧٢، وفي رواية: "... ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِفَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشَقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّه، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ، يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأُمَانِيُّ، ... "٧٣، وفي رواية: "... فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أُذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأُمَانِيُّ ... "٧٤، وفي هذا الحديث، يُخْبِرُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ [وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ]: ... فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدَّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ إِلَّا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أُعْطِيتُ الْعَهْدَ، لَكِنْ كَرَمَكَ يُطْمَعُنِي، لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، إِنَّ أَنْتَ أَبْقَيْتَنِي عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَلَا تُدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، لِأَكُونَنَّ أَشَقَى خَلْقِكَ الَّذِينَ دَخَلُوهَا، فَيَضْحَكُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ضِحْكًا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ أَوْ تَعْطِيلٍ أَوْ تَشْبِيهِ، وَيَقُولُ

٧٢ رواه البخاري: ٨٠٦.

٧٣ رواه البخاري: ٧٤٣٧.

٧٤ رواه البخاري: ٦٥٧٣.

له ربُّنا: لَعَلِّي إِنْ صَنَعْتُ لَكَ مَا تُرِيدُ تَطْلُبُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ وَهُوَ عَالِمٌ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ؛ إِظْهَارًا لِنَقْضِ الْعَهْدِ مِنْ بَنِي آدَمَ. فَيُقَسِّمُ الرَّجُلُ بَعْزَةَ رَبِّنَا لَا يَسْأَلُ غَيْرَهُ، وَيَأْخُذُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْأَيْمَانَ بِذَلِكَ، فَيُقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْبَهْجَةِ وَالشُّرُورِ تَحْيَرٌ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ؛ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ، ثُمَّ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: وَيُحَاكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! وَكَلِمَةُ «وَيُحَاكَ» كَلِمَةُ رَحْمَةٍ، كَمَا أَنَّ «وَيْلَكَ» كَلِمَةُ عَذَابٍ، وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَالْغَدْرُ تَرْكُ الْوَفَاءِ، وَلَيْسَ نَقْضُ هَذَا الْعَهْدِ عَنْهُ جَهْلًا مِنْهُ، بَلْ عَلِمًا مِنْهُ أَنَّ نَقْضَ هَذَا الْعَهْدِ أَوْلَى مِنَ الْوَفَاءِ؛ لِأَنَّ سُؤَالَ رَبِّهِ أَوْلَى مِنَ إِبْرَارِ قَسَمِهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّى، فَيَتِمَّنِي، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، بَأْنِ ذَكَرَ لِرَبِّهِ كُلَّ مَا يَطْلُبُهُ وَيَرْجُوهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: لَكَ مَا تَمَنَيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ بَعْضِ الصِّفَاتِ الْخَاصَّةِ بِذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَمَثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ، وَيُسَلِّمُونَ بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذِكْرِ آخِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "... ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِفَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهُ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتِمَّنِي حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، ..."^{٧٥}، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

منها، وَآخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ". فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً^{٧٦}، وفي رواية: "آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، ... فيقول: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلْنِيهَا، فيقول: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيفُنِي مِنْكَ؟ أَيُضِيفُكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتُسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟"، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

٧٦ رواه البخاري: ٦٥٧١. في هذا الحديث بيانٌ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِظَمِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَذَكَرَ حَالِ آخِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً لَهَا فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ» بِمَا عِلْمُهُ اللَّهُ «آخِرُ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَهُوَ نَفْسُهُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً، وَلِقَلَّةِ عَمَلِهِ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَوْ الصِّرَاطِ وَهُوَ يَحْبُو، فَيَسْقُطُ فَيَحْبُو، فَلَمَّا نُجِيَ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى (لِكَثْرَةِ مَنْ يَرَاهُمْ فِيهَا، وَلَمَّا يَجْهَلُهُ مِنَ اتِّسَاعِهَا)، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيقول: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيقول: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فلم يتصور كيف سيكون له مِثْلُ هذا النعيم في هذه الجنة التي خُيِّلَ لَهُ أَنَّهَا مَلَأَى، فقال لِشِدَّةِ الدُّهُولِ: تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟! فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْخَرُ مِنْهُ؛ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَقْصِيرٍ اسْتَوْجَبَ كَوْنَهُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَعَجُّبًا وَسُرُورًا، وَالنَّوَاجِذُ مِنَ الْأَسْنَانِ: هِيَ الصُّوَا حُكُّ، وَهِيَ الَّتِي تَبْدُو عِنْدَ الضَّحِكِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُ رَوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ: وَكَانَ يُقَالُ- أَيُّ: نَقْلًا عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَائِلُ الْمَقَالَةِ الْمَذْكُورَةِ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُهُ: «أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ...» وَسَاقِ الْقِصَّةَ -: ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ" ^{٧٧}، ففي هذا الحديث بَيَانٌ لعظمة الله ورحمته وجزيل عطائه لعبده، وفيه يقول النبي صَلَّى الله عليه وسلم: آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، أَي: يَبْقَى مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ رَجُلٌ يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ قَبْلَ دُخُولِهَا؛ ... فيقول الرَّجُلُ: أَي رَبِّ، أَدْخَلْنِيهَا، أَي: يَطْلُبُ الرَّجُلُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ؛ فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ له: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِفُنِي مِنْكَ؟ أَي: مَا يَقْطَعُ مَسْأَلَتَكَ، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ يُرْضِيكَ وَيَقْطَعُ السُّؤَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وما الَّذِي تُطْلِبُهُ حَتَّى تَقْنَعَ بِهِ وَتَكْفَ عَنْ مَسْأَلَتِكَ لِي؟! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا، أَي: مِثْلَ نَعِيمِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَمُلْكِهَا وَأَزِيدُ

٧٧ رواه مسلم: ٣١٠ - ١٨٧: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّفَتَّ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا أُسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أُعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لَأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، وَأُسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَذْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لَأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأُسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لَأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَذْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِفُنِي مِنْكَ؟ أُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟"، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ".

لَكَ ضِعْفُهُ، فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ؛ فَلَمْ يَضْطِ لِسَانُهُ بِسَبَبِ الدَّهْشَةِ وَالْفَرَحِ بِمَا عَرَضَ عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ؛ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَسْأَلُونِي: مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ: عِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ قَوْلِ الْحَدِيثِ؛ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ الرَّجُلُ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ وَالضَّحْكُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ وَإِنْ كَانَا مُتَّفَقَيْنِ فِي اللَّفْظِ فَإِنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ فِي الْمَعْنَى؛ فَإِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ لَا تُشَابِهَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ ضَحْكٌ يَلِيقُ بِكَالِهِ وَجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنَّمَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِعْجَابًا وَسُرُورًا بِمَا رَأَى مِنْ كَمَالِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُذْنِبِ وَكَامِلِ الرِّضَا عَنْهُ، وَأَمَّا ضَحْكُ ابْنِ مَسْعُودٍ فَكَانَ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلرَّجُلِ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، أَيُّ: إِنِّي لَا أَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَلَنْ أُعْطِيكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ، أَيُّ: قَادِرٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَضَعْفَ ذَلِكَ وَلَنْ يَنْقُصَ مِنْ مُلْكِي شَيْءٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمُعَذِّبِينَ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ غَيْرِ مُخْلَدِينَ فِي النَّارِ وَسَيُخْرِجُونَ مِنْهَا عِنْدَمَا يَأْذَنَ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَفِيهِ: بَيَانٌ لِعِظَمِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ مُقَارَنَةً بِأَهْلِ الدُّنْيَا إِذْ أَقْلَهُمْ نَعِيمًا لَهُ مِثْلِي نَعِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

وَالْمُؤْمِنُ يَقَابِلُ صِفَةَ الضَّحِكِ بِالْقَبُولِ، وَالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، فَيَسْتَنِيرُ بِهَا قَلْبَهُ، وَيَتَسَّعُ لَهَا صَدْرُهُ، وَيَمْتَلِئُ بِهَا سُرُورًا وَمَحَبَّةً، فَيَنْزِلُهَا مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلَةَ الْغَدَاءِ، أَعْظَمَ مَا كَانَ إِلَيْهِ فَاقَةً، وَمَنْزِلَةَ الشِّفَاءِ، أَشَدَّ مَا كَانَ إِلَيْهِ حَاجَةً؛ فَيَشْتَدُّ بِهَا فَرَحُهُ، وَيَعْظُمُ بِهَا غِنَاهُ، وَتَقْوَى بِهَا مَعْرِفَتُهُ، وَتَطْمَئِنُّ

إليها نفسه، ويسكن إليها قلبه، فيرجو من الله كل خير، وينفتح له الأمل في كل خير، ويتفائل أعظم تفاؤل، ويستبشر خيراً.

نسأل الله أن نكون ممن يضحك الله لهم في الدنيا والآخرة.